

تفسير البحر المحيط

@ 72 @ قال ابن عطية : وأظن هذا ما اختلط بالفردوس . وقال ابن مسعود : عدن بطنان الجنة وشرقها ، وعنه : وسط الجنة . وقال عطاء : نهر في الجنة ، جناه على حافيته . وقال الضحاك وأبو عبيدة : مدينة الجنة ، وعظمها فيها الأنبياء والعلماء والشهداء وأئمة العدل والناس حولهم بعد ، والجنان حولها . وقال الحسن : قصر في الجن لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل ، ومدتها صوته . وعنه : قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد . وروى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (: عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ، ولا يسكنها غير ثلاثة : النبيون ، والصديقون ، والشهداء يقول الله تعالى : طوبى لمن دخلك) وإن صحَّ هذا عن الرسول وجب المصير إليه . وقال مقاتل : هي أعلى درجة في الجنة . وقال عبد الله بن عمرو : قصر حوله البروج والمروج ، له خمسة آلاف باب ، على كل باب خيرة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد . وفي : قصته الجنة فيها نهر على حافتيه بسايتين . وقيل : التسنيم ، وفيه قصور الدر والياقوت والذهب ، والأرائك عليها الخيرات الحسان ، سقفها عرش الرحمن لا ينزلها إلا الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ، يفوح ريحها من مسيرة خمسمائة عام . وهذه أقوال عن السلف كثيرة الاختلاف والاضطراب ، وبعضها يدل على التخصيص وهو مخالف لظاهر الآية ، إذ وعد الله بها المؤمنين والمؤمنات . وقال الزمخشري : وعدن علم لقوله تعالى : { جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّسُولُ عِبَادَهُ } ويدل عليه ما روى أبو الدرداء ، وساق الحديث المتقدم الذكر عن أبي الدرداء ، وإنما استدل بالآية على أن عدن علم ، لأن المضاف إليها وصف بالتي وهي معرفة ، فلو لم تكن جنات مضافة لمعرفة لم توصف بالمعرفة ولا يتعين ذلك ، إذ يجوز أن تكون التي خبر مبتدأ محذوف ، أو منصوباً بإضمار أعني : أو أمدح ، أو بدلاً من جنات . ويبعد أن تكون صفة لقوله : الجنة للفصل بالبدل الذي هو جنات ، والحكم أنه إذا اجتمع النعت والبدل قدم النعت ، وجيء بعده بالبدل . .

وقرأ الأعمش ورضوان : بضميتين . قال صاحب اللوامح : وهي لغة ، ورضوان مبتدأ . وجاز الابتداء به لأنه موصوف بقوله : من الله ، وأتى به نكرة ليدل على مطلق أي : وشيء من رضوانه أكبر من كل ما ذكر . والعبد إذا علم برضا مولاه عنه كان أكبر في نفسه مما وراءه من النعيم ، وإنما يتهياً له النعيم بعامه برضاه عنه . كما أنه إذا علم بسخطه تنغصت حاله ، ولم يجد لها لذة . ومعنى هذه الجملة موافق لما روي في الحديث : (أن الله تعالى يقول لعباده إذا استقروا في الجنة : هل رضيتم ؟ فيقولون : وكيف لا نرضى يا ربنا ؟ فيقول :

إني سأعطيكم أفضل من هذا كله رضواني ، أَرْضَى عَنْكُمْ فلا أسخط عليكم أبداً) وقال الحسن :
وصل إلى قلوبهم برضوان الله من اللذة والسرور ما هو ألد عندهم وأقر لأعينهم من كل شيء
أصابوه من لذة الجنة . قال ابن عطية : ويظهر أن يكون قوله تعالى : ورضوان من الله أكبر ،
إشارة إلى منازل المقربين الشاربين من تشنيم ، والذين يرون كما يرى النجم الغائر في
الأفق ، وجميع من في الجنة راض ، والمنازل مختلفة ، وفصل الله تعالى متسع انتهى . وقال
الزمخشري : رضاه تعالى هو سبب كل فوز وسعادة انتهى . والإشارة بذلك إلى جميع ما سبق ،
أو إلى الرضوان قولان ، والأظهر الأول . .

({ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ
عَلَيْهِهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا
قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا وَبَعُدَ إِسْلَامُهُمْ
وَهُمُؤُوا بِمَا لَمْ يَنْتَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا
يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ خِرَّةً وَمَا لَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُفُّونَ مِّنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا
ءَاتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا * وَهُمْ مُّعْرِضُونَ *
فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوُوهُ بِمَا آخَلَفُوا
اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَاسِمٌ الْغَيْبِ *
الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ
وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ
مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ * فَرَحَّ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ
وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ
كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلَا يَصْحَكُوا قَلِيلًا وَلَئِيذُكُومُ كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ
فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنَ

تُفَعَّلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنْ نَزَعْتُمْ رَضِيَّتُمْ بِالْقُعُودِ أَوْ لَمْ تَرْضَوْا
فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ * وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَافِرِينَ وَلَهُمْ أَعْدَاءُ بَدَأَ
وَلَا تَقُمْ عَلَيْهِمْ قَبْرَهُ إِنْ نَزَعْتُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا
وَهُمْ فَاسِقُونَ * وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنْ نَزَعْتُمْ يَدُ
اللَّهِ أَنْ يُعَذِّبَ بِهِمْ بِهَذَا فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِيهَا أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ
كَافِرُونَ * وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ أَمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ
رَسُولِهِ اسْتَأْذَنُوا أُولُوا الْأَرْحَامِ الَّذِينَ هُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ
مَعَ الْفُقَرَاءِ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * لَكِنَّ الرُّسُلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَجَاءَ
الْمُتَعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *
لَسِيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ
مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ
لِتَتَحَمَّلَهُمْ قُلْتَ لَا أُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِمْ تَوَلَّوْا
وَأَعْيُنُهُمْ تَفْرِصُ مِنَ الدِّمَامِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ {

{ الْعَظِيمُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } : لما ذكر وعيد
غير المؤمنين وكانت السورة قد نزلت في المنافقين بدأ بهم في ذلك بقوله : وعد